

تقنية البيوميكانيك في العرض المسرحي الجزائري

Biomechanical technique in the Algerian theatrical

ميمونة سعيدي

جامعة سعيدة. الدكتور مولاي الطاهر، الجزائر، mimouna.saidi@univ-saida.dz

تاريخ الاستلام: 2023/09/01 تاريخ القبول: 2023//12/29 تاريخ النشر: 2024/01/26

ملخص:

يكمن هدف هذه الورقة البحثية في توضيح مدى تأثر المخرج الجزائري بالرؤى الإخراجية الغربية ومنها تقنيات البيوميكانيك للمخرج "فيسفولد مايرهولد"، واستقطابها من أجل توظيفها في العرض المسرحي لتسهيل عليه الكثير من الوظائف من بينها، تعويض النص الملفوظ بحركة تشكيلية جسدية شعرية لها دلالة وإيحاءات في عمقها. وتخطيط الفضاء عبر إيماءات وإشارات تؤدي المعنى الحقيقي للفعل والنص المجسد. وهذا ما توصلنا إليه عندما قام المخرج الجزائري متأثرا بالمنهج الغربي، وتحويل بعض عناصر العرض المسرحي إلى صورة تعبيرية أيقونية وبحركات جسدية إبداعية تخيلية ومبتكرة بعيدا عن النص المنطوق والملفوظ.

كلمات مفتاحية: البيوميكانيك، مايرهولد، المسرح الجزائري، التشكيل الحركي، الاشتغال الجسدي.

Abstract:

The goal of this research paper is to clarify the extent to which the Algerian director is influenced by Western directorial visions, including biomechanical techniques by director Wesvold Meyerhold He attracted her in order to employ her in theatrical performances, to make many jobs easier for him, including Replacing the spoken text with a physical, poetic movement that has deep meaning and implications, And space planning through gestures and signals that convey the true meaning of the action and the embodied text.

This is what we reached when the Algerian director was influenced by the Western approach, And transforming some elements of the theatrical show into an iconic expressive image and with creative, imaginative and innovative physical movements away from the spoken and verbal text.

Keywords: Biomechanics, Meyerhold, Algerian theatre, movement formation, physical work.

1. مقدمة:

ظهر مصطلح البيوميكانيك مع المخرج الروسي "فسيفولد مايرهولد" الذي أسس منهجه على توظيف الحركة، ولكن ليست تلك الحركة التجريدية، وإنما تلك الانفعالات والكلمات التي تتجسد في حركة غروتاسكية ساخرة وهذا هو لب البيوميكانيك .
إن اعتماد "مايرهولد" على الغروتسك** وإسقاطه من التراث القديم كان هدفه إدخال كلمات ومعانٍ جديدة في تقنية أداء الممثل، فالغروتسك عند مايرهولد يعني تعرية الواقع ببشاعته وسخفه، لأنه يمزج بين التراجيدي والسخرية وبين المدركات والخيالي ويكشف عن النواقص الأخرى¹.

ولعل تأثير هذا المنهج على المسرح الجزائري ما هو إلا حمله لأدوات إخراجية غير المعتادة في المناهج الأخرى، وهذا ما نلاحظه في بعض التجارب المسرحية التي عالجت الأشكال التمثيلية ووظفت تقنيات أداء الممثل، ومنه تطرح الإشكالية التالية: هل تأثر المخرج الجزائري بتقنيات منهج "مايرهولد"؟.

ومن هذه الإشكالية تبادرت لدينا مجموعة من الأسئلة:

✓ ما مفهوم البيوميكانيك؟

✓ ماهي التقنيات الموظفة في العرض المسرحي الجزائري؟

✓ كيف بنى المخرج الجزائري عرضه المسرحي؟

والهدف الذي نصبو إليه لا ينحصر على منهج البيوميكانيك المايرهولدي وتأثيره على الغرب فحسب، بل توضيح مدى اتباع المخرج الجزائري ومسايرة نهجه الذي يندرج ضمن الفن المسرحي بإعتباره لونا ساير أعمال بعض المخرجين، فنلقي الأعمال المسرحية التي إسقطت تقنية البيوميكانيك خاصة أنها تعتمد إلى الجمع بين الواقع والتمثيل، والعمل على

تقديم المحتوى الفني الناتج ضمن إطار محدد يضعه المخرج، باستعمال لقطات مرئية مؤلمة تؤدي إلى نوع من الدهول والدهشة والإثارة ، معتمدا على التقنيات اللامحدودة من الخيال. ومن أجل التعمق في حيثيات هذه الدراسة إرتأينا إلى إبراز مفاهيم مصطلح البيوميكانيك الذي وظفه " فيسفولد مايرهولد" في العروض المسرحية، ثم عرجنا بعدها إلى تأثير تقنية البيوميكانيك على المسرح الجزائري والتقنيات التي اعتمد عليها المخرج في رؤيته الإخراجية.

2. منهج البيوميكانيك:

يعد منهج البيوميكانيك من المناهج التي ذيع صيتها في الممارسات المسرحية الغربية منها والشرقية، ذلك أنه يعتبر جسد الممثل أداة مطواعة نستطيع التحكم فيها وانسجامه مع تلك الأداة والتوافق مع جميع الظروف، فهو المدرك لفكرة وتعليمات النص الذي يراد عرضها على المتلقي، و " فيسفولد مايرهولد" هنا "يترك للممثل الحرية وعدم التقيد الحرفي بكلمات النص أي محاولة الإبتعاد عن النص الدرامي"²

1.2 مفهوم البيوميكانيك:

تشق مفردة البيوميكانيك من كلمتين:

Bio: ويعني " حياة أو إحياء (العضو الحيوي)

Mecanica: وتعني البراعة اليدوية وقد تكون الميكانيكا ذات علاقة بالآلات أو

العامل الماهر الذي يقوم بصناعة الآلات"³ ، بمعنى أن تقنية البيوميكانيك عند " فيسفولد مايرهولد" تقوم على دراسة علم حركة الجسم، أراد من خلالها إجراء تعليمي يهدف لتحفيز التعلم من القوانين الميكانيكية على الأعضاء الحيوية الحركية لجسد الإنسان، وذلك من أجل بلوغ بالأداء إلى نقطة حاسمة وأعلى مستوى، فهو يلحظ بأن استعمال هذه التجربة في أي شكل من الأشكال التعبيرية الفنية تكمن في الطاقة على رصف وتنضيد الحالة الطبيعية

لجسد الممثل، فبرأي " فسيفولد مايرهولد " أنّ الممثل يجسد داخل ذاته شيئين: المنظم أي الفنان والمادة الخام، ويجب على الممثل أن يدرّب مادته الخام أي جسده حتى يستطيع هذا الجسد القيام بالمهام والوظائف الموكلة إليه⁴.

قام " مايرهولد " بتقسيم نظريته البيوميكانيكية من حيث بنائها التعبيري إلى ثلاثة مراحل:

1. الاستعداد للفعل، ثم توقف.
2. الفعل نفسه، ثم توقف.
3. رد الفعل الموازي⁵.

إنّ نظرية البيوميكانيك عند " مايرهولد " تقوم أساسا على الرابطة الموجودة بين جسد الممثل والفضاء المسرحي، وعلى الممثل في نظره أن يكون مكتسبا لأساليب لها علاقة بحركات الجسم للتعبير عن روح فكرة النص نحو الجمل، الجمناستيك، الألعاب البهلوانية، السيرك وغيرها من الأساليب التي تعطي لياقة للممثل على ركح المسرح.

ومن أهم الميزات والخصائص التي يركز عليها منهج البيوميكانيك ما يلي:

- قدرة الممثل على إعادة تمثيل الفعل عند الحاجة إليه.
- التوازن والتناسق الجسدي للممثل لأنّ الممثل المتوازن عند " مايرهولد " هو الممثل المؤسلب***.

- التحكم بأعضاء الممثل الحركية الفردية إلى أن تعمل الحركة الفردية بانسجام مع بقية أعضاء الفرقة وفي الوقت نفسه التجاوب مع متطلبات الفضاء المسرحي.
- الإيقاع ويتكون إلى ثلاثة أجزاء : الاستعداد، الفعل، نقطة النهاية⁶.

3. تأثير تقنية البيوميكانيك على المسرح الجزائري:

إن تصفح لتاريخ المسرح الجزائري يعني بالضرورة استكشاف الحياة الإنسانية. فتطوره مرهونا بتطورها شكلا ومضمونا، ولعل هذا التطور والتعدد الذي شهدتهما الساحة الفنية يؤول إلى إحتكاك الكتاب والمخرجين الجزائريين بمناهج مختلفة ومتباينة، وهذا ما أدى إلى ازدهار الحركة المسرحية في أقطاب القطر الجزائري، ودفع أيضا إلى إنعاش قدرات الممثل وإكتسابه لتقنيات إخراجية جدية وجديدة ومغايرة عن الأسلوب القديم والمتعارف عليه سابقا.

ولعل "عبد القادر علولة" من بين المخرجين الجزائريين الذين تأثروا بمنهج "مايرهولد"، ونلني ذلك في العرض المسرحي "أرلوكان خادم السيدين" الذي اقتبسه عن نص "Arlequin Serviteur de deux maitre" لـ "كارلو غلدوني"، بحيث عمل علولة على تطبيق منهج البيوميكانيك الذي نادى به المخرج آنف الذكر، ونستشف ذلك في حركات الممثل "أرلوكان" أثناء تجسيد دور البهلوان الذي يراه الذي "يجمع في ذاته عنصرين: الأول الذي يطرح المهمة أو الغرض المقصود، والثاني هو الذي يبدي موافقته على ما إقترحه العنصر الأول، كما إعتبره قوة عاملة وآلة واعية متمكنة من ذاتها حيث تنفذ كل ما يطلب منها أيضا"⁷. هذه الشخصية من الشخصيات الهامة منتقية من الكوميديا الايطالية، شخصية ساذجة وصولية تجسد دور الخادم الوفي لسيديه، صاحب فكرة ومبدأ يتمتع بلغة شعبية مفككة.

شخصية "أرلوكان" شخصية مأكرة ووقحة وينتهز الفرص لخدمة مصالحه، ولكن "علولة" أخرجها من النمط المعروف والمتفق عليه سابقا عند المخرجين المسرحيين، وأعاد ابتكارها وأدخل تعديلات عليها، حتى أصبحت أكثر شخصية كوميدية فكاوية مضحكة التي نشأت أساسا من التناقض بين خطابه وعاداته الأرستقراطية"⁸. لقد وضع "أرلوكان" قناعه بشكل صحيح وأبدع فيه، وأدى بمهارة هذه اللعبة المزدوجة وعكس روح المتعة للمتلقي.

وفي السياق نفسه، ركز عرض مسرحية " الطيحة " من إخراج " لطفي بن سبع " والمقتبسة عن النص المسرحي " المفتش العام " للكاتب الروسي " نيكولاي غوغول " على التعابير الجسدية التي نادى بها " مايرهولد " في المسرح الشرطي****، ونلفي ذلك من خلال حركات التي أداها مجموعة من الممثلين نحو مسؤولي البلدية، وما يلاحظ في العرض أنّ توزيع الأدوار كانت موفقة نوعا ما، خاصة في الجانب البيولوجي بحيث نجد دور السمين، النحيل، الطويل والقصير، إضافة إلى إستقطاب وتوظيف نوع من الغروتيسك وتتمثل في إستعمال الأقنعة التي كانت عبارة عن أنوف بلاستيكية، وقد وظف الأحجام والأجسام المتباينة والمختلفة.



كما إستعان على إدخال بعض المشاهد البانتوميكية الصامتة والكوميديّة، كل هذا يدخل ضمن المنهج البيوميكانيكي المايرهولدي، ولعلّ " رئيس البلدية " وحركاته الدالة على الشعور بالخوف، والممثل " شيتا " وتصرفاته الآلية مثل الأداة المتحركة ماهو إلا دليل على ذلك.

نلفي أيضا أنّ للأزياء أهمية بارزة حيث أضفت على العرض صبغة جمالية، فنجدها مزكرشة بألوان متباينة، ويظهر لنا أن اللباس الذي يرتديه الممثل ذو القامة الطويلة قصير وضيق، أما الممثل ذو القامة القصيرة فزيّه عريض وطويل.

على الرغم من أنّ المسرحية تطرح قضايا عن الواقع العراقي فقط، إلا أنّنا نجد أيضا مكابدة المجتمعات العربية، هذا "رئيس البلدية" الذي يدافع على الكرسي ويتملكه الخوف من تنحيته ويدير مصالح العامة دون أي استشارة من أحد، أليس هذا عبث في عبث !!، جسد الممثلون هذا العرض وطرحوا العديد من قضايا الفساد الذي إنغمس فيها حكام العرب في إطار فرجوي تتكامل فيه عناصر ومفردات العمل المسرحي.

إلى جانب المخرجين السابقين هناك "زروق نكاع" الذي يعتبر من أغرار المخرجين إنتاجا شخصيا واقتباسا عن المسرح العربي، وقد دأب إلى المسرح العراقي ليستمد منه نص " ثامن أيام الأسبوع" للمؤلف "علي عبد النبي الريدي"، وهو نص يندرج في إطار المسرح العبثي، ويعد هذا العمل من أهم النصوص المسرحية التي كتبها المؤلف.

إشتغال "زروق نكاع" على نص "علي عبد النبي الريدي" أخذ شكل إعداد درامي يترجم النص الأصلي بوفاء تام، ولكن أحدث فيه بعض التغييرات محاولا تقريبه لمتلقي الجزائري، ومقارنة مع النص الأصلي نلفي أن المخرج أعد نصا ركحيا واحتفظ بعناصره البنائية مع تغيير طفيف في حذف بعض الحوارات والمشاهد، كما أضاف قضايا سياسة وإجتماعية معاصرة توائم فكرة العرض المسرحي.



يؤكد عرض " ثامن أيام الأسبوع على التمثيل الذي يعد أهم عنصر على الركح وما عداه لا يعدو أن يكون مجرد حشو Pléonasme، ولهذا نجد الركح في العرض المسرحي يحتقي بالفراغ نوعا ما، وذلك من أجل الرفع من شأن التمثيل والأداء Performance، وإهتم المخرج بتعبيرية جسد الممثلين لإستثمار أدواتهم التمثيلية مراهننا على الإيماءات والإلقاء وحركات الوجه لتصبح بدورها إichاءات ركحية تسهم في تشكيل معمارية العرض وجمالياته.

4. خاتمة:

تدفع هذه العروض المسرحية البيوميكانيكية المتلقي إلى إشغال ذهنه الباحث عن الغموض والالتباس المجسد أمام ناظره بواسطة أدوات والتقنيات المعتمدة على التشكيل الحركي والمفرطة في الاشتغال الجسدي الذي يحمل مختلف المؤشرات والرموز الإيحائية مما يجعلها أفقا مفتوحا يعتمد على التصفح واستعاب أفكارا متباينة مستوحاة عن رؤى قابلة للتعددية التأويلية كما في كل الأشكال التعبيرية.

من بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي:

✓ لقد وظفت تقنيات البيوميكانيك بالشكل الذي يليق بالعرض المسرحي الجزائري معربة عن كل المعاني والدلالات الإيحائية.

✓ أضفى منهج مايرهولد على العروض الجزائرية صبغة جمالية ودرامية في المشهد المسرحي.

✓ إسباغ الجدية والمتعة في التشكيل الحركي والاشتغال الجسدي في العرض المسرحي.

✓ تحويل النص اللغوي والحواري إلى مجموعة من الحركات واللوحات التشكيلية عوضت بدل النص المنطوق والملفوظ.

الإقتراحات:

✓ تعويض التشكيلات الحركية والجسدية بالتقنية الرقمية الوسائطية تمثيلا وسينوغرافيا.

✓ دراسة التغيرات والتطورات التي أحدثها منهج "مايرهولد" البيوميكانيكي دراميا وجماليًا.

✓ الاعتماد على تقنيات المناهج الإخراجية المعاصرة في بناء العرض المسرحي الجزائري.

5. قائمة المراجع:

*- ولد مايرهولد: في روسيا لأبوين ألمانين عام 1874، عندما كبر اعتنق المذهب الأرثوذكسي وسمى نفسه فزيفولود. جاء منهجه مغاير وبديلا للمناهج الأخرى، إنه مسرح الشعر، بحيث يمزج فيه بين المتفرج والمؤلف والمخرج والممثل، ولكي يحصل مايرهولد على أداء يضفي على العرض صفة الشعر فلقد وضع هذه الأسس للتدريبات: الإلقاء - التعبير الجسدي.

** - يفسر لنا " حسن المنيعي " في كتابه " الجسد في المسرح " بأن كلمة الغروتيسك Grotesque أطلقت تسميتها على رسوم حيوانية ونباتية المنقوشة على بعض الحفريات الأثرية، وشاع مصطلح غروتيسك باستعماله في الفنون التشكيلية، وبعد ذلك، عرف المصطلح ازدهاره في الأدب حيث ارتبط بحكم دلالاته الأصلية بالتجسيد لكل أنواع التشويه، وتفضل الإبقاء على مصطلح "غروتيسك" بدل استعمال كلمة "السخرية" أو غيرها من المرادفات لأن المصطلح له مضمون واسع.

ينظر حسن المنيعي: الجسد في المسرح، المغرب، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، مطبعة أطوبريس للطباعة والنشر، ط2، 2010، ص 147- 148.

¹ - ينظر، سعد أردش: المخرج في المسرح المعاصر، الكويت، عالم المعرفة، 1979، ص 162.

² - مجد القصص: رواد المسرح والرقص الحديث في القرن العشرين، الاسكندرية، ط1، ملتقى الفكر، 2002، ص 89

³ - شكري عيد الوهاب: الاخراج المسرحي، الاردن، ط1، مطبعة السفير، 2009، ص 140.

⁴ - فسفولد مايرهولد: في الفن المسرحي، ج 2 ، بيروت ، ط1، دار الفارابي، 1979، ص 30.

⁵ - voir. Odette Aslan , l'acteur au xx^e siècle, Paris, ed, Seghers, 1974, p 142.

*** - الممثل المؤسلب: هو الممثل الذي يبتعد عن " المحاكاة التصويرية للواقع، والاكتفاء بتقديم علامات، تدل على هذا الواقع أو ترجع إليه... وهو الخركة النمطية (الجامدة) التي تمثل بشكل رمزي وضعية الجسد، لكل فرد أو بكل فئة من فئات المجتمع - ماري إلياس -

حنان قصاب حسين: المعجم المسرحي مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض، لبنان، مكتبة ناشرون، ط.1، 1997، ص 33

⁶ - voir. Odette Aslan , l'acteur au xx^e siècle, op.cite, p 142.

⁷ - فسفولد مايرهولد: في الفن المسرحي، ج 2، م س، ص 20.

⁸ - Voir Marie-Claude Canova, La Comédie, coll. «contour littéraire», éd. Hachette supérieur, 1990, p 78

****- دعا (مايرهولد) الى المسرح الشرطي الذي ميزه بالسمات الآتية:

1. ألغى الاضواء الامامية واستغنى عن المناظر المسرحية بشكلها المؤلف وحول الكلمة الى صرخة ملحنة او صمت موسيقي.
2. نزل بخشبة المسرح الى مستوى الصالة.
3. خلق عرضاً اضطر فيه المتفرج ان يكمل ابداعياً رسم التلميحات التي تقدم من على خشبة المسرح . وقد جاءت نظرة (مايرهولد) هذه من فلسفته في ان لا يدع المتفرج متأملاً للعرض فقط وانما مبدعاً ايضاً ، في اشتراك خياله في رسم الصورة التي يفسرها المتفرج نفسه.
4. حرر الممثل من الديكورات ، وهياً له فراغاً ذا ابعاد ثلاث ووضع في خدمته البلاستكية النحتية الطبيعية .
5. المسرح الشرطي لا يبحث عن التنوع في (الميزانسين) كما يحدث في المسرح الواقعي والطبيعي .
6. يطمح المسرح الشرطي في التمكن من رشاقة الخط ، وتكوين المجموعات وتلوين الازياء وبسكونه يعطي حركة اكبر الف مرة من المسرح الطبيعي.
7. المخرج في المسرح الشرطي يحصر مهمته في توجيه الممثل فقط وليس ادارته ، على الضد من مسرح (ماينغن).

8. المسرح الشرطي يجعل المتفرج لا ينسى انه امام ممثلين يؤدون ادوارهم طيلة فترة العرض.

-ينظر، أحمد سلمان عطية: فسيفولد مايرهولد: المحاضرة السابعة، يوم 12 / 03 / 2019
على الساعة : 16:00، يرجع إلى الموقع

<http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=13&lcid=3>

6574